

9 788480 953672



المغرب والأندلس مدن تاريخية

صفحات من التاريخ المشترك: الهندسة والمعمار في شمال المغرب



إنه لمن المعروف أن تاريخ الشعوب والذي تغلب عليه روح القومية المشوبة بمشاعر التفرد لا يمكنه التأثير بما فيه الكفاية على المجالات المشتركة عبر فصول تكتبها الأمم على اختلافها تحكي عن فترات التعايش وعن إنجازات تمت في سياق تنصهر فيه الثقافات على تنوعها. هذا هو حال بعض المشاريع المنجزة خلال حقبة الحماية الإسبانية في شمال المغرب. الأمر الذي سنقف عنده في هذه المحاضرة مع التركيز على مجال التخطيط وبناء المدن وكذا على الهندسة المعمارية.

عرف المغرب في النصف الأول من القرن العشرين تمازج ثقافتين بشكل سلمي مرة وصدامي مرة أخرى. وعرف كذلك أسلوبين مختلفين لفهم المدينة وهندستها المعمارية، الأمر الذي أدّى إلى جدال حول المحافظة أو التغيير في مدينة ستجمع بين واقعين مختلفين سيجسدان فيما بعد إحدى مميزات الهوية المعمارية للمدينة المغربية.

أنتونيو برافو نييتو
مؤرخ

يتغلغل الاستعمار الإسباني في المغرب في سياق تاريخي يتميز بتحوّلات عميقة. فما دام كل استعمار يعمل على إعادة تنظيم الفضاء الذي يتحرّك داخله فإن الحضور الإسباني أنتج تغييرات اقتصادية أسفرت عن تحوّل جذري لبنيات البلد يمكن تسميته بتغيير الهيكل الإنتاجي، وهو عبارة عن تحوّلات سياسية عسكرية فرضت ملائمة الفضاء للحاجيات الجديدة بما يفرض ذلك من تغيير للمجال الدفاعي وما يتبعه من تغيير في البنية التحتية ذات الطابع الاستراتيجي. هذا بالإضافة إلى التحوّلات الاجتماعية وليدة هجرة الإسبان نحو المنطقة مما يفسّر نمو المدينة بمقاييس هندسية جديدة.

وهكذا ففيما يتعلق بمنطقة شمال المغرب، فإن التواجد الإسباني كان يعتمد حضورا جغرافيا لا عقلانيا تملّيه مصالح القوى الديبلوماسية. وكما يحصل عادة في مثل هذه الحالات فإن تقسيم الشمال عن الجنوب لم يخضع إلى منطق يأخذ بعين الاعتبار المصالح الداخلية للبلد الذي تم انتدابه لـ "لحماية" وإنما إلى اعتبارات أخرى. الأمر المؤكد هو أن الحدود التي تم إنشاؤها لفصل المغرب الخليفي التابع لإسبانيا عن المغرب الخاضع للحماية الفرنسية قطعت وصال طرق تقليدية تلك التي تعتمد على الأودية، جزأت مناطق اقتصادية كما يبدو واضحا في حالة العرائش والناحية الشرقية. وبالعكس من هذا تم ربط مناطق يصعب كثيرا ضمها مثل الطرق المتعرجة بين الغرب والشرق عبر سلسلة جبال الريف.

فمن جهة، المنطقة لم تكن متماسكة بما فيه الكفاية ومن جهة أخرى، فإن المقاومة العسكرية التي واجهت المستعمر الإسباني في الفترة الممتدة بين 1909 و1927 لم تساعد على وجود سياسة موحدة للحماية. الأمر الذي تجلّى بوضوح سواء في مجال المواصلات أو في حقل التخطيط المعماري. فطرق التواصل تم تشكيلها لاعتبارات عسكرية محضة، فهي كانت تابعة لانتشار القوات الإسبانية ومدى سيطرتها الميدانية. هذه الطرق اعتمدت ولمدة طويلة من الزمن على محاور ثلاثة: سبتة-تطوان-شفشاون، طنجة-أصيلة-العرائش-القصر الكبير، ملييلة-الناظور-الحسيمة.

اعتمدت طرق المواصلات هذه على منطق استراتيجي هدفه السيطرة العسكرية على المنطقة ولكن سرعان ما تم تكريسها كطرق للتبادل الاقتصادي. هذا الواقع يمكن تفسيره بكون الفترة الممتدة بين 1909 و1927 تميّزت باستهداف غايتين لم تكونا لتتوافقا في بعض الأحيان: رواسب السيطرة العسكرية على المنطقة من ناحية ومنطق الإدارة المدنية للحماية التي تعتمد مقاييس اقتصادية في استغلالها للفضاء المغربي.

وننتج عن هذين المنطقيين وجود إدارتين تتبنيان تصورين مختلفين: الإدارة المدنية التي تمثلها المندوبية الخليفية والتي تستقر في تطوان والإدارة العسكرية التي تعتمد في قراراتها على القيادة الهندسية. كلاهما يتحمّل نفس المسؤولية في بناء طرق التواصل وعلى نفس الأراضي. وهو ما أسفر عن مجهود كبير في بناء الطرق والجسور في أماكن لم تعد لها أي ضرورة بعد نهاية الحرب كما هو الحال مثلا مع شبكة الطرق التي تربط منطقة نهر كيرت حيث تم تشييد قناطر ضخمة من الإسمنت المسلح في مكان هامشي لا زال لحد اليوم يعرف حركة سير ضئيلة.

هذا الوضع استمر إلى حدود 1927 حيث مرت الإدارة العسكرية سلطاتها على شبكة الطرق إلى الإدارة المدنية للحماية. وهو ما سمح بانطلاق سياسة عقلانية في تسيير

الطرق كما بداية لبناء جسور مهمة كذلك الذي تم تشييده على نهر لوكوس بالعرائش وبناء الطريق الذي سيوحد فعلا المنطقة، ذلك الرابط بين الناظور وتطوان عبر كتامة. هذه الطريق التي لا تخلو من عيوب كبيرة تجتاز قلب سلسلة الريف مما يعسر استعمالها طيلة السنة. مرة أخرى نحن أمام خيارات استراتيجية حددت ضرورة التشييد عبر المركز وتجنب الشواطئ الذي يبدو للوهلة الأولى الخيار الأكثر منطقية. الغاية من هذا الخيار كان هو السيطرة العسكرية على المنطقة بخط طريق يأخذ شكل عمود الفقري للسكة بهدف تسهيل المهمة.

من جهة أخرى، فإن الانطلاقة النهائية للبنيات التحتية في منطقة الشمال تم استهلالها في نهاية العشرينات أي مع حكومة المندوب السامي غوميث خوردانا سوسا التي بدأت في التخطيط لمشروع تموين الماء الشروب في مدن كتطوان والعرائش. الأمر الذي دفع إلى دراسة إمكانيات استغلال الثروة المائية في ناحية المدينتين خاصة مياه وادي لاو ووادي مرتيل حيث تم إنجاز خزانات لهذه الغاية كما تم بناء أجهزة لتوليد الكهرباء واعتماد أساليب للري.

أما فيما يتعلق بالموانئ فإن هذه الحقبة ستشهد عملية تطوير ميناءي كل من العرائش وأصيلة وبناء ميناء فيلا الحسيمة التي كانت في كل الأحوال مراسي ذات إنشاءات بسيطة تتعقبها مشاكل تقنية جادة تمنع رسو بواخر كبيرة، الأمر الذي جعل إمكانياتها الحقيقية متواضعة فما يتعلق بالمساهمة في تطوير المنطقة.

ومع ذلك فإن انطلاق سياسة حقيقية للبناء والتشييد ستنتقل مع نهاية الحرب الأهلية الإسبانية. هذه السياسة التي كانت تعتمد مقاييس واضحة تستهدف وحدة التراب ستقودها حكومة المندوب السامي أوركان يولدي. من هنا سيتم عقلنة شبكة الطرق وتجهيز بعض الموانئ (التي لازال ينقصها الشيء الكثير) وتشييد سدود جديدة كذلك الذي سيتم بناؤه في نهر ملوية.

هذه السياسة التي ستستمر لاحقا على يد مندوب الأشغال العمومية فيثنتي مارتوريل كانت تتميز بواقعية كبيرة حيث كانت تأخذ بعين الاعتبار محدودية البنيات الموجودة (طريق كتامة مثلا) ومحاولة تجنب المشاريع الطوباوية كإنشاء شبكة سكك حديدية تشمل كل المنطقة الواقعة تحت الحماية الإسبانية والعمل على تحسين شبكة الطرق الموجودة. وكانت إحدى أولويات الإدارة في هذا المجال هو العمل على خلق شبكة تضم المناطق الآهلة بالسكان. فداخل البنية الإستعمارية تم اعتبار النواة الحضرية كأساس للتركيبة التي تعتمد ارتكازا اقتصادية وسياسية.

في البداية كانت المنطقة تبرز اختلافا وتنوعا قويين. ففي مقابل شبكة حضرية مهمة في الناحية الغربية والمتشكلة حول مدن تطوان وطنجة والعرائش وأصيلة والقصر الكبير وشفشاون فإن المناطق الوسطى وتلك الشرقية كانت مأهولة بساكنة قروية دون وجود مدن أو سكان قبل وصول الاستعمار. في هذه المناطق أي الوسطى وتلك الشرقية لم تكن هناك أي مدينة يمكنها أن تكون مرجعا يتم اعتماده لبناء مدن جديدة.

ومرة أخرى فإن انتشار القوات العسكرية هو الذي حدد المرحلة الأولى لبناء خلايا سكنية حديثة النشأة. ففي المنطقة الشرقية وانطلاقا من 1909 كان انتشار الجيش الإسباني واستقراره في أمكنة استراتيجية بعضها سيكون نواة مدن في المستقبل كما هو الحال مع مدينة الناظور. من جهة أخرى فإن المنطقة الوسطى للريف

ستلتحق بشكل متأخر بهذه العملية حيث سيتم إنشاء أهم الخلايا الحضرية انطلاقاً من 1927 كما هو الحال مع كل من الحسيمة وتارغيس.

بالقرب من هذا الحضور العسكري استقرت مجموعة صغيرة من المهاجرين الإسبان التي ستكون النواة التأسيسية لحواضر مستقبلية تعتمد في اقتصادها على التجارة وتخطيطها المعماري على تصور هندسي ذي طابع إسباني صارم. الأمر الذي ولد تركيبة مزدوجة لهذه المدن إحداهما مرتبطة بالمنشآت العسكرية والأخرى بالقطاعات المأهولة بالمدينين. كلاهما تطورت بشكل مستقل وهو ما أسفر مع الزمن عن أسلوبين معماريين مختلفين. فكثيراً ما فقدت المنشآت العسكرية أهميتها فتلاشى حضور الساكنة إلى حدود الاندثار كما حصل في باتل أو تلامغايت. بينما تنامي حضور الساكنة في حالات أخرى التهمت معها الحضور العسكري الذي يصعب استكشافه اليوم. فأغلب هذه المدن لا يمكن سوى الوقوف عند أطلال الثكنات العسكرية التي اندثرت بفعل نزوح السكان المدينين إليها كما هو الحال في كل من الحسيمة والناظور. ففي هذه المدن الحديثة النشأة كانت تقطن غالبية إسبانية تضاعف تواجدتها مع بداية الهجرة القروية للمغاربة في ابتعادهم عن البوادي ونزوحهم نحو المدن.

ومع ذلك فإن التدخل حينما يشمل مدناً كانت موجودة فإن الأساليب المستعملة تأخذ منحى بالغ الأهمية من وجهة نظرنا. فمن الوهلة الأولى أثارت المدينة المغربية القديمة اهتماماً بالغاً من جانب السلطات الإسبانية. فالمدن العتيقة في كل من تطوان، العرائش وشفشاون تم اعتبارها كرواسب لتقاليد يجب الحفاظ عليها وصونها. هذا الاهتمام تمت ترجمته بمجهود عملي قامت به الأكاديميات الملكية الإسبانية كأكاديمية التاريخ وأكاديمية الفنون الجميلة بسان فرناندو الذين كونوا لجنأ خاصة بشمال المغرب وعينوا أساتذة مشرفين على الموضوع كانوا يقيمون بشكل دائم في تطوان.

وكانت مهمة هذه الأكاديميات الملكية هو دعم البحث التاريخي والعمل على احترام المعالم التاريخية لهذه المدن خاصة الأسوار والسكن التقليدي وكذا آثار أخرى من الحقب السابقة لدخول الإسلام للمغرب.

وهكذا نلاحظ أنه في التخطيطات الأولى لأحياء تطوان والعرائش التي بدأ تشييدها سنة 1914 يمكن قراءة نصوص تحت على احترام المدينة العتيقة ومنع أي بناء حديث ذي طابع أوروبي بداخلها. وكانت مهمة مراقبة احترام هذا المنع من اختصاص لجن الآثار والمعالم التاريخية التي تم تكوينها في المدن الرئيسية بغاية الحفاظ على مكونات هذه المدن.

ويمكننا التساؤل هنا عما مثلت هذه المدن العتيقة وهندستها المعمارية بالنسبة للإدارة الاستعمارية الجديدة. في هذا المجال لا يمكننا ألا نلمس هذا الإحساس الدفين بحنين ورومانسية نحو ثقافة كانوا يحسونها قريبة جداً من العالم الأندلسي. فإسبانيا كانت تعتبر نفسها الدولة الأوروبية الوحيدة المتميزة بروابط متينة مع التاريخ الإسلامي حيث المعالم الفنية التي تزخر بها كل من قرطبة وغرناطة هي مفخرة بالنسبة لكل إسباني وليست مجرد حضور غرائبي ومستشريقي كما هو الحال مع الأوروبيين الآخرين. وفي هذا المضمار كانت كل من شفشاون وطنجة وبشكل خاص مدينة تطوان تعتبر شواهد حية عن أندلس مزدهر في قرون

وسطى مظلمة بالنسبة لباقي أوروبا. بل إن كاتبها مثل رودولفو خيل بونيميا لم يتوان في كتاباته من اعتبار هذه المستعمرات من "سكان أندلسيين خالصين" يجب تصديرها إلى العواصم الأندلسية الرئيسية من أجل بعث ذلك التاريخ المجيد وإعادة تشييد أحياء أندلسية في إسبانيا القرن العشرين.

لهذه الأسباب ولأخرى أكثر عملية كتلك المرتبطة بتوفير الدفاع على أراضي معينة جعلت من الصعب بناء أحياء أوروبية منزوعة بشكل جذري عن المدينة القديمة بل تم تشييدها كملحق لها. هذه التركيبة المعمارية ولد مدينة مزدوجة هي المميز الحالي لكل المدن التي كانت تحت الحماية الإسبانية. وهكذا فإن تطوان والعرائش تجسدان عبر اختلافهما هيكلًا متشابهًا. فبجانب المدينة العتيقة المحاطة بأسوار هناك ملحق بشكل مباشر عبارة عن متسع عمودي: الأسوار تستعمل كحجر للدوريات بينما الأبواب القديمة تصبح ممراً ضرورياً ووسيلة تواصل بين المنطقتين. وينطلق المتسع عملياً من فضاء يتواصل عبره الواقعين المعماريين وهو عبارة عن ساحة تشكل عنصر هوية للهندسة الإسبانية بالمغرب، ساحة كبيرة كانت تسمى قديماً بساحة إسبانيا.

ففي تطوان هذه الساحة هي ما كان يعرف بالفدان والذي كان يشكل معبراً سهلاً المرور بين المدينة العتيقة وتلك الحديثة كما أننا بهذا الشكل لا نحس بأي نشاز بين المدينتين. فنحن أمام فضاء للقاء يشبه ما يمكننا نعتة بالساحة المتوسطة حيث يتوفر على كل مميزات الأغورا. هذا الفضاء كان كذلك تجسيدا للسلطة في وجهها الأكثر وضوحاً حيث كانت مقر المندوبية السامية وكذا للقصر الخلفي بالإضافة إلى مؤسسات رسمية أخرى.

أما في العرائش فقد تم تشييد الساحة البيضاوية الشكل التي تربط ببهاء المدينة العتيقة المحصنة بروعة الحي الإسباني "الإنساتشي". هذه الساحة التي يمكن اعتبارها نقطة اتصال وقلب المدينة النابض والتي أصبحت أهم واجهة معمارية للعرائش حتى اليوم حيث توجد أهم المؤسسات الرسمية وكذا أهم الرموز الهندسية. ونجد في باقي المدن نفس النماذج تقريباً رغم أنه تم هدم الأسوار في مدينة القصر الكبير مثلاً والذي جعل الحي الإسباني محاذياً بشكل مباشر للمنازل الموجودة في المدينة العتيقة. الأمر الذي ولد نموذجاً لتزاوج الأشكال المعمارية على تنوعها. أما مدينة شفشاون فهي المدينة التي تبدي أكبر انفصام بين المدينة الحديثة وتلك العتيقة بالرغم من أن هندستها المعمارية تبدو الأكثر غرابة بسبب تأخر بنائها (أواخر العشرينات) من جهة ولقلة عدد الإسبان الذين استوطنوها من جهة أخرى الأمر الذي لم يشجع على بناء حي إسباني مهم.

وتم في حينه خلق تصور حول الأحياء الإسبانية كالنموذج الأمثل لنمو مدينة وتطورها. كلها كانت تتبع خطاً عمودياً مع أحياء موزعة على قطاعات متساوية على طول محاور على شكل شبه المعين كما هو الحال في تطوان أو بتركيبة شبه قطرية كما هو الحال في العرائش. في هذه الحالة أو تلك فإن تصورها المعتمد على منظور متسع غايته توزيع الأزقة والشوارع بشكل يعمل على إعطاء طابع خاص على البنايات الموجودة فيه.

تاريخ بناء الأحياء الإسبانية في المدينتين انطلق في فترة مبكرة، ففي 1914 كانت هناك التخطيطات الأساسية. هذا التاريخ المبكر والتكوين العلمي لمختلف

المهندسين والمعماريين الإسبان يجعل هذه المشاريع تختلف كثيرا عن تلك التي أنجزها المهندس هنري بروس في المغرب "الفرنسي". لهذا السبب لا يمكن إيجاد نقط مشتركة أو تأثيرات في السياسة المعمارية لدى الإدارتين الاستعمارييتين: الإسبانية وتلك الفرنسية.

وإذا كان الحي الإسباني في هذه المدن استمر بناؤه إلى حدود الأربعينات فهذا لا يعني عدم وجود مشاريع نموذجية أخرى قبل هذا التاريخ. أهم هذه النماذج بدون أدنى شك هو ما كان يتم نعته في العشرينات بـ "المدينة الحديقة" والتي اعتمدها المعماريون الإسبان كوسيلة لهدم الروتين الذي تفرضه القطاعات السكنية في بنائها الموحد الشكل. لهذا السبب كان يتم البحث على وضع مناطق واسعة خضراء كما هو الحال في الفدان بتطوان وكذا بناء شوارع بفيلات تتوسط مجموعة من الحدائق كما هو الحال في شارع الوزير الركاينة أو ممر النخيل بتطوان أو الشارع الذي كان يحمل قديما إسم الملكة فيكتوريا أوكينيا والذي كان موجودا في العرائش. ومع ذلك فإن النموذج الأمثل لهذا النموذج المعماري، نموذج المدينة الحديقة، نجده في مدينة القصر الكبير والذي وضعه إيسيدرو دي لاس كاخيكاكاس رغم أنه لم يتم إنهاؤه بشكل كامل.

ومع ذلك فلا الحي الإسباني ولا النموذج "الحدائقي" يمكنهما إخفاء أن نمو هاته المدن كان يتجه بشكل واضح نحو بناء تعوزه المراقبة الملائمة وبعيد كل البعد عن أي تخطيط. فالهجرة المغربية أو الإسبانية نحو المدن خاصة نحو طنجة وتطوان والعرائش، لم تكن تجد وسيلة أخرى للسكن سوى بناء منازل من المستوى الهزيل وذلك بسبب إمكانياتها المادية الضعيفة. لهذا السبب عرفت المدن المذكورة نموا عشوائيا تمت محاولة حده في الأربعينات ببناء منشآت سكنية تابعة للقطاع العام. بهذا الشكل سنشهد تشييد سكني خاصة بالموظفين في تطوان سواء تلك التي أطلق عليها إسم "خنزال مارينا" أو تلك التي نراها في حي مالقة أو سيدي طلحة. نفس الحالة نجدها في الأحياء البسيطة المخصصة للصيادين في العرائش.

وفي هذا السياق كان من البديهي أن تعاني المدن الشمالية للمغرب من نفس المشاكل المرتبطة بنمو أي مدينة في العالم. فالهجرة المتكاثفة والبناء العشوائي حطما ذلك الحلم الرومانسي في تشكيل مدينة مزدوجة الأنساق تتزاوج داخلها المدينة العتيقة بالحي الإسباني بهدف امتصاص نمو السكان المتواصل.

ويمكننا أن ننهي هذا الموضوع مؤكدين على أن التنوع ربما هو أهم مميّز لشبكة المدن في شمال المغرب: مناطق سكنية جديدة عمودية الشكل بجانب مدن عتيقة تحيطها أسوار دفاعية تعود إلى القرون الوسطى كما هو الحال في تطوان أو برتغالية كما هو الوضع في أصيلة أو محصنه مثلما نجد في العرائش. هناك كذلك مدن كان الإسبان يشكلون غالبيتها مثل الحسيمة بجانب مدن أخرى كشفشاون حيث الحضور الإسباني كان بارزا بضالته رغم أنه في نهاية الأمر كل هذه المدن اختارت ساعة إنشائها أو لحظة نموها نمودجا يعتمد على تجزيئات سكنية وقطاعات حضرية عمودية حيث كان للساحة حضورا كبيرا الأهمية.

وإذا كان المعمار يعبر عن قواعد السلطة بأشكالها وبطريقة إبراز مختلف هيئاتها وكذا تجسيد الطبقات الاجتماعية وكل ما تحمله من تصورات فكرية فإن الهندسة

المعمارية حاولت أن تكون تعبيراً واضحاً عن بروز عناصر إيديولوجية معينة خاصة فيما يتعلق بالأسلوب.

إنه لمن البديهي استخلاص أن الحضور الإسباني في المغرب مثل تجديداً في الحقل المعماري مقارنة مع الهندسة التقليدية التي نشهدها في المدينة العتيقة. هذا التجديد الذي نلمسه خاصة على مستوى التقنيات المستعملة حيث تم إدخال مواد للبناء جديدة وكذا على نوعية تختلف اختلافاً جذرياً عن تلك التي كانت تستعمل في بناء المنزل المغربي التقليدي. فمن هذه الناحية قام المهندسون الإسبان باستخدام النماذج المعروفة في بلدهم الأصل. وكان الأمر كذلك لأنهم لم يشكوا لحظة في تفوق الهندسة المعمارية التي يمكننا نعتها بالهندسة "الجامعية" على تلك التقليدية. ومن جهة أخرى فإن وصول هذه الهندسة الجديدة إلى شمال المغرب جسّد اقتحاما مفاجئاً لرواسب ثورة صناعية ورأسمالية لهذه المنطقة الجغرافية.

وفي هذا السياق لا يمكننا الحديث عن أي امتزاج حقيقي بين الهندسة التي كانت متواجدة وتلك القادمة من الضفة الأخرى. لهذا السبب رأى المسؤولون عن التعمير وبشكل واضح جداً ضرورة بناء مدينة جديدة بجانب تلك التي كانت موجودة من قبل، وكذا تصور تشريعات مختلفة تأخذ بعين الاعتبار البناء في كل منطقة على حدة وتكلف أشخاص مختلفين للإشراف معمارياً على المنطقتين. بهذه الطريقة تم إضفاء شرعية على هذا الأسلوب الهندسي المزدوج في مدينة مزدوجة الشكل.

هذا لا يعني مع ذلك أنه لم تكن هناك خلال فترة الحماية محاولات لجمع الأسلوبين المعماريين من خلال تأقلم الأسلوب الحديث مع السياق التقليدي حيث يوجد. ويمكننا في هذا المجال سرد أمثلة مختلفة تتوزع مدناً وأزمنة متنوعة. لنأخذ كنموذج السكن الذي تم تشييده خصيصاً للجنود المسلمين سنة 1918 في تطوان والتي أنجزها موريثيو كابديكي حيث قام هذا المهندس بدراسة طريقة تنظيم الأسرة المسلمة ساعة تصميم السكن. هناك مثال آخر يمكننا إيرادها والمتمثل في السكن الذي تم إنجازه لصالح البدو العاملين في مزارع "ثلاثاء الريصانة" أو محاولات المهندس ألفونسو دي سييرا في الخمسينات لخلق تركيبة قريبة من الأسلوب التقليدي في بنائه للعمارات الموجودة في حي مولاي الحسن بتطوان.

في كل هذه الأمثلة التي سردناها كان المهندسون الذين قاموا بوضع المشاريع واعين بعجز الهندسة الأوروبية على الرد بشكل فاعل على المتطلبات المعمارية في المغرب. كلهم حاول البحث عن تركيبة تجمع ما هو تقليدي بما هو حديث، بعضهم حالفه الحظ في ذلك وبعضهم لم يصل للمستوى المنشود. ولكن في كل الحالات فإن هذه المحاولات لا يمكنها أن تمثل الاتجاه العام الذي ساد لدى المهندسين المعماريين الإسبان في تلك الحقبة.

وبالرغم من هذا ففيمما يتعلق بالأسلوب فإن الواقع كان مختلفاً تماماً. ففي السياق الأوروبي يمكننا الحديث عن تجديد في الأشكال المعمارية الذي سمح بتغييرات مستمرة وواضحة في مجتمع برجوازي يبحث عن أسلوب عيش لا يضيع عليه قطار التطور وكذا يؤكد عبر ذلك مكانته المتميزة مقارنة مع الطبقات الاجتماعية الأخرى. فالأسلوب المعماري في نهاية الأمر هو الوسيلة التي تسمح للمعمار أن يغير واجهته بشكل جذري دون تغيير عميق لعناصره التركيبية أو النوعية ولا

بطبيعة الحال أي تغيير لتركيبته الاجتماعية. الأمر الذي يعني أن تغيير الأسلوب المعماري لا يعني تغييراً في الهندسة المعمارية وهو ما يفسر اتباع غالبية المهندسين هذا الطريق واتباعه خلال القرن العشرين مجازة لهم للتيار العام في تلك الحقبة.

ولا يمكننا مع ذلك أن نسقط في فخ التبسيط ساعة تحليل الهندسة الزخرفية ما دامت هذه البنايات المنمقة هي التي تميز أغلب المدن الأوروبية بشكل عام وتلك الموجودة في شمال المغرب بشكل خاص. فغالبيت المنشآت المعمارية المبنية في الأحياء الإسبانية بشمال المغرب يمكن تصنيفها في إطار التيارات المختلفة التي تميز النصف الأول من القرن العشرين في العالم بأسره. ومن المؤكد كذلك أن تطور الأساليب والتكوين المختلف للمهندسين والتشكيلة المعمارية الخاصة والمميزة للتخطيط الحضري أعطت لمدن كتطوان والعرائش شخصية قوية تجعلها ذات هوية متفردة.

هذا هو الموضوع الذي نحاول أن نقف عنده عندما نوكد الوجود المحتمل لهندسة استعمارية. فالعديد من المؤلفين يرون وجود شكل هندسي تطور في سياق بعيد عن أوروبا وفي إطار استعماري. بل إنه حتى في "المغرب الفرنسي" هناك كتاب كهنري بروست يحددون شكلاً خاصاً لهندسة تم استنباطها وتطويرها انطلاقاً من مبيعات البلد والتي أصبحت نموذجاً رسمياً يمثل الفترة التاريخية. ومع ذلك فإن ميزة القسم الشمالي من المغرب لم تكن الشكل الهندسي الأحادي بل بالعكس فإن الخاصية الأكثر إثارة للاهتمام هي تلك المقترنة بتنوع الخيارات الشكلية. لذلك يستحيل الحديث بوضوح عن هندسة استعمارية بل يمكننا الحديث فقط عن تيارات متعددة بحجم المهندسين الذين أنجزوا هذه الأعمال وهو ما أضفى عليها تنوعاً كبيراً مقترناً بالفضاء وبالزمان.

ولكن وفي خضم هذا التراكم من الاتجاهات يمكننا التفريق بين تيارين عامين. الأول تتشكل من الهندسة المتأثرة بالمعمار العربي والثانية تلك المقابلة أي ذات التصور الأوروبي المحض. ولكن ما يجب التأكيد عليه في هذا السياق هو أن تطور التيارين سيتم بشكل مواز وأنه سيتم على يد نفس المهندسين الذين سيبنون تصوراتهم المعمارية انطلاقاً من هذا التيار أو ذاك تبعاً للظروف.

هذه الهندسة ذات الطابع العربي الجديد برزت في شمال المغرب مع بدايات الاحتلال الإسباني. ويتلخص هذا النموذج في تركيبة تضم تيارات زخرفية تبحث عن خلق انسجام يعتمد في بنائه على التقاليد الهندسية المغربية وخاصة تلك المقترنة بالمعمار الأندلسي.

في 1914 تم تعيين المهندس كارلوس أوفيلو مديراً لقسم الهندسة لدى الإدارة الخليفية وكانت من أولى مهماته ترميم القصر الخلفي الذي تم تشييده في القرن الثامن عشر وبعض المدارس وكذا أسوار المدينة. هذه المهام جعلت أوفيلو يقف عن كثب على الفنون التقليدية التطوانية وعلى الأشكال الهندسية المعروفة آنذاك في المغرب. انطلاقاً من هذه التجربة قام بتطوير هندسة تعتمد على النمط العربي الجديد وترتكز على بساطة في البناء وعلى مساحات معدنة وعلى أقواس مدببة بعيدة عن أي زخرفة ثقيلة. وقد طور أوفيلو عمله خاصة في المنطقة الغربية خاصة في تطوان والعرائش في الفترة الممتدة بين 1914 و1930 وكانت من أهم نتائج هذا

المجهود مدرسة الفنون الجميلة بتطوان أو بعض العمارات في الحي الإسباني بهذه المدينة.

وسيتّم في المستقبل تجاوز أسلوب أوفيلو البسيط بأساليب أخرى أكثر زخرفة حيث سنرى تفاصيل من الصناعة التقليدية والأقواس المصففة والتسنيّات والأعمدة وفوق كل هذا طريقة استعمال الألوان والتي ستضعنا في حقبة مميزة بأسلوب أكثر شحنا. هذه الحقبة سنراها مبكراً في أعمال بعض المهندسين العسكريين كميغيل غارسيا دي لا هيران الذي أنجز كل أعماله في العرائش حيث بنى في الفترة الممتدة بين 1912-1914 مقر القيادة العامة والتي أصبحت اليوم مقراً لمعهد الموسيقى بالمدينة. نفس الملاحظة تنطبق على أعمال رفائيل فيرناندث الذي سيبني خلال نفس الحقبة السوق القديم بتطوان وكذا رودريغيث رودا الذي قام ببناء محطة السكة الحديدية في نفس المدينة رغم أن أهم بناءٍ ممثل لهذا التيار هو ذلك الذي كان مقراً لهيئة التدخل العسكري بالمدينة.

هؤلاء المهندسون سيكونون رواداً للعديد من الأعمال التي تدخل في سياق المعمار العربي الجديد والذي ستعرفه المنطقة إلى حدود 1956: مراكز للشرطة كذلك الذي كان موجوداً في وادي ملوية، مدارس، مساجد، محطات للقطار وخاصة بعض الثكنات العسكرية التي سيتم توشيتها بزخرفة فاخرة ذات الطابع الرومانسي. وهكذا نرى كيف تمت استعادة باب شالة في الرباط ساعة بناء ثكنة سيغانغان أو بهو الأسود في الحمراء بغرناطة ساعة تشييد ثكنة القصر الكبير. في هذه الثكنات وخاصة في تلك التي تم إنشاؤها لإيواء القوات المحلية والمحلة الخليفية تم بناء قاعات فخمة مليئة بالرايات وأدوات من الصناعة التقليدية والفنون اليدوية المغربية.

وفي مواجهة طغيان التأثير الاستشراقي للمهندسين العسكريين كان هناك بعض المهندسين خاصة خوسي غوتيريث ليسكورا الذي عمد إلى البحث عن جذور أكثر نقاوة وجدها في الفن النصري بغرناطة. فليسكورا استوحى الأشكال الغرناطية في أهم البنايات التي أشرف عليها بمدينة تطوان كالمسرح الإسباني والعديد من المساكن في الحي الإسباني حيث أسس لأسلوب متميز يمكننا استشفافه في بعض المباني بالساحة الكبرى في العرائش. هذا الاهتمام بغرناطة ولد تعاوناً بين غوتيريث ليسكانو والفنان ماريانو بيرتوتشي بمساندة القنصل إيسيدرو دي لاس كاخيغاس الذي كان يهدف القيام بإصلاحات معمارية مهمة. وكان من نتائج هذا التعاون ترميم ضريح سيدي علي بوغالب بالقصر الكبير وبناء كل التركيبة الزخرفية لساحة إسبانيا (الفدان) وكذا ما يسمّى حدائق كاخيغاس التي توجد في جنوب المدينة.

ونجد أن التأثيرات الغرناطية في هذه الأعمال التي تم إنشاؤها في النصف الثاني من العشرينات تستوحى الأعمدة والحدائق خاصة جناح العريف كما تستوحى أسلوب استعمال الجص بطريقة تعكس قوة حضور الأشكال الأندلسية. هذه الأشكال هي التي سنراها في الجناح المغربي لدى معرض إشبيلية سنة 1929 والذي يمكننا اعتباره التجسيد الأمثل لهذا التيار وكذا بداية اندحار هذا النموذج الهندسي. ولعبت أعمال مدرسة الفنون تحت إدارة بيرتوتشي دوراً رئيسياً في نشأة هذا التيار وتطوره والتي نجد من أعمالها الرئيسية إصلاح مقر المندوبية السامية وقصر الخليفة التي

تم إنجازها في الأربعينات. وشهدت هذه البناءات بناء قاعات فخمة حيث كان للصناعة التقليدية في مختلف وجوها دور كبير في إضفاء تميز خاص على بعض هذه الأعمال والتي كان يشرف عليها المهندس خوان أراتي.

ومع ذلك فإنه لا يمكننا سوى الحديث عن هذا الأسلوب العربي الجديد والذي سيستمر طوال فترة الاستعمار وستستمر إنجازاته إلى حدود سنة 1956 في مواجهة واضحة مع كل الأساليب الأخرى. لهذا السبب فإننا نجد هذا الأسلوب في كل المناطق التي تمتلئ بالبناءات الشاهدة على حقبة متميزة بهذا الشكل. كما يمكننا الإشارة مرة أخرى أن الهندسة العربية الجديدة (نيو عربية) لم تفرض نفسها كنموذج أوحده في أي فترة من الفترات ولا في أي مدينة بالتحديد بل إنها لم تفرض نفسها حتى في محيط الهندسة الرسمية التي كان يمكنها فرض أسلوب معين وبسهولة. كما أن التأثير العربي لم يقتصر فقط على هذا الأسلوب بل هناك تيارات أخرى لم تول نفس الاحترام للتقاليد فعمدت إلى البحث عن طريقة فنية أصيلة ومختلطة. الأمر الذي ولد أسلوباً برز للوجود في نهاية العشرينات وخلال الثلاثينات والذي يمكن إجماله في إطار ما ينعى بالآرت ديكو.

فنجد في المغرب العديد من المهندسين الذين حاولوا الجمع بين المعمار الأوروبي الحديث وذلك المغربي التقليدي. ونلاحظ هذا في مبان تحاول أن ترصد أشكالاً متعددة وذلك عبر الاعتناء بالملامح البارزة فقط أو بالنقوش التي تبتعد عن القوس الحديدي التقليدي والتي نجد من أبرز نماذجها بعض البناءات في العرائش. ففي هذه المدينة أنجز كل من أندريس غالميس وخوسي لاروسيا أعمالاً متميزة كالبنائية التي تحتضن البريد وبعض العمارات في الساحة الكبرى والفيلات في مدخل المدينة. كل هذه الأعمال كانت تعتمد مساحات بيضاء كبيرة وزخرفة مطرزة على الشبابيك وأناقة التنميق عبر نقوش دقيقة التركيب.

هناك عمل آخر يمكننا إدراجه في هذا السياق وهو ذلك الذي قام به المهندس كاستو فيرناندث شو خاصة في سوق تطوان حيث يمزج وبذوق عال الأشكال الهندسية والأحجام بالقبب التي حاول عبرها ربط العمل المعماري بمحيطه العام.

وفي اتجاه مغاير نجد تيارات أخرى تدخل في إطار الآرت ديكو يبحثون في السياق العالمي عن أساليب قديمة يستوحون منها أعمالهم: فمن الهندسة الأرتيكية أو المايا إلى تلك المصرية كانوا يبحثون عن ضالتهم في الأشكال الهندسية الخالصة الواردة من ثقافات أخرى والتي تم تطويرها في أوروبا والولايات المتحدة من أجل خلق فن جديد. وكان هذا هو الطريق المتبع من طرف إيميليو بلانكو إيزاغا في هندسته الريفية: سلسلة من العمارات التي تم تشييدها من نهاية الثلاثينات وبداية الأربعينات في منطقة الريف بشمال المغرب والتي تجسد الأسلوب أكثر جدة في البحث عن نموذج معماري خاص بمنطقة الحماية الإسبانية.

فقد حاول إيميليو بلانكو أن يزاوج بوضوح بين الأشكال المعمارية والإيديولوجيا فهو توخى تزويد الشعب الريفي بشكل معماري شبه وطني ليعطيه هوية محددة. وإذا ابتعدنا عن تأثيراته السياسية والتي كانت شبه منعدمة فإن نهجه المعماري ملاً منطقة الريف بالمدارس والمساجد والمراكز الصحية وكل المؤسسات الأخرى التي تشهد له بأصالة والتي أضفت على أسلوبه أهمية خاصة. فمصادره في هذا الشأن تعود إلى القصبات الموجودة في جنوب المغرب ذات الأشكال المنحدرة والألوان

الحمراء بأحجام مكورة وواضحة بمحاور غير متوازية ونقش بدائي. وتوجد بعض أهم نماذج هذا الأسلوب في الحسيمة وأجدير وتماسينت ولكن أهم عمل نجده في أرعاء تاويرت والذي يجسد آخر أعماله في هذه المغامرة الإبداعية. كل هذا تم رغم تحفظات الإدارة الخليفة التي لم تكن تنظر بعين الرضى لهذه الأعمال.

ومن جهة أخرى فإننا نضم لهذه اللائحة من المهندسين أولئك المتأثرين بالتيار الأوروبي ونقصد بهم أولئك الذين عكسوا الأساليب الأسبانية الأكثر شهرة في النصف الأول من القرن العشرين. وتقدم هذه المجموعة تشكيلات متنوعة انطلاقاً من تلك الانتقائية إلى التاريخانية مروراً بالهندسة الحديثة والأرت ديكو والباروك الجديد وانتهاءً بالهندسة العقلانية. ميزة كل هؤلاء هو اتفاقهم على عدم إبداء كبير اهتمام بالتراث المعماري في المغرب.

واستعمل المهندسون هذه الأشكال بحرية كبيرة متأقلين مع مختلف الأساليب تبعاً للظروف وذوق الزبون. ومرة أخرى كان هذا التنوع هو المميز الرئيسي لكل هذه الأساليب المعمارية مع التأكيد على أن مستوى هذه الأعمال كان بشكل عام من مستوى عالٍ. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن كل الدراسات التي تطرقت إلى هذه الأساليب ألحت على مدى الحرية التي واجه بها المهندسون كل المشاريع التي قاموا بإنجازها. كثير من هؤلاء المهندسين تفوقوا في أعمالهم التي أنجزوها في المغرب ولكنهم لم يصلوا إلى نفس المستوى في الأعمال التي قاموا بها في إسبانيا بل أكثر من هذا فدراسة الأعمال الكاملة لهؤلاء وكذا المرجعيات المختلفة سواء منها الشخصية أو تلك العائلية تترك انطباعات دائماً بأن ما تم إنجازه في المغرب يبقى هو العمل الأكثر تألقاً.

وفي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى ظاهرة اجتماعية ساهمت إلى حد بعيد في البحث عن الحداثة. الأمر الذي أسفر عن مناخ من الإبداع الهندسي لم يعرف له مثيل فكك كل القيود وجعل الأبواب مشرعة في وجه أي اجتهاد. فالبرجوازية كانت تحت على الأعمال الأكثر أصالة وتفرداً كوسيلة للبروز على المستوى الطبقي.

وكانت الأعمال الأولى التي تم بناؤها في المغرب من طرف الكنيسة الكاثوليكية في أواخر القرن التاسع عشر (خاصة منها الكنائس والدير الفرانسيكاني) تعتمد على نماذج تاريخانية تستوحي الماضي الكلاسيكي والغوتي كما هو الحال مع كنيسة مدينة طنجة وتلك الموجودة في المدينة العتيقة بالعرائش. ومن المؤكد أن أكثر المشاريع فرادة هو ذاك الذي قام به غاودي لصالح الكنيسة في طنجة والذي لم يكتب له الإنجاز وكذا كل المعابد الأخرى التي أنجزت واتبعت مسار التاريخ: المدجن الجديد لكنيسة تطوان والإقليمية لكنيسة القصر الكبير والعقلانية لكنيسة البيلار في العرائش.

ومن ناحيته كان المهندس كارلوس أوفيلو رائداً للنهج الانتقائي في المغرب. فمساره الطويل سمح له للقيام بدور مهندس البرجوازية التطوانية وهو ما جسده في الأعمال التي تملأ الحي الإسباني. فهذا المهندس ترك بصماته في عمارات بواجهات خزفية ومباني فخمة كما هو الحال مع معهد سيرفانتيس المليء بتفاصيل تنميطية وبالشرفات وكذا العديد من العمارات الموجودة في أهم شوارع المدينة. وتتجلى في العديد من هذه الأعمال تفاصيل حداثية من آرنوفو الذي ينتشر من بروكسيل وباريس إلى كل أوروبا والذي نجد نماذج أخرى له في مناطق مختلفة

من المغرب كما هو الحال مع مسرح سيرفانتس بطنجة الذي أنجزه ديبغو خيمينيث والذي يزخر بنقوش خزفية تمثل نحوت موسيقيين وكذا بنقوش حديدية وزجاجية ورسوم في داخل المسرح. هناك أعمال حداثية أخرى يمكننا إيجادها منتشرة في ربوع المغرب. بعضها في تطوان وبالضبط في ساحة مولاي المهدي وفي أزقة بالحي الإسباني كما نجدها في مدن أقل أهمية كمدينة الحسيمة. في كل هذه المناطق شكل الأسلوب الحداثي تركيبة أكثر تحرراً مقارنة مع ذلك الانتقائي كما أنه كان انعكاساً حقيقياً لهندسة ثرية بأعمال الصناعة اليدوية على الخزف والحديد والزجاج والخشب.

وكانت العشرينات سنوات غنية بالإنتاج المعماري ومرة أخرى نقف على كشكول من التيارات كذلك المشوب بتيار الباروك لأندريس غالميس في العرائش والإقليمية الإسبيلية بالحسيمة أو في ثكنة دار ريفين أو الهندسة المتأثرة بالنموذج الفرنسي والكلاسيكي للمهندس ديبغو خيمينيث والذي نرى أبرز نماذجه في طنجة.

بينما ستكون الثلاثينات مرحلة لانطلاق جيل جديد سيغير البانوراما بشكل تام مدخلين للمغرب الهندسة التي تعرف بـ"الإيرودينامية" وكذا بوادر أعمال عقلانية. ومن أبرز الأعمال المنتمة لهذه الحقبة تلك التي أنجزها خوسي لاروسيا ومانويل لاتوري وفرانيسكو هيرنانث وخوسي ميغيل دي لاكوادرا سالسيدو. هذه الأعمال التي سترفع من قيمة مدن كتطوان والعرائش وتدخلها في موجة عالمية كانت تغزو شوارع عواصم أخرى في أوروبا.

وهكذا تم إنجاز العديد من المدارس ذات الصبغة المستقبلية وكذا مستوصفات صحية ومبانٍ رسمية (كبلدية العرائش) والعديد من المنازل الخاصة التي تجنبت النقوش الداخلية واستبدلتها بنقاوة تعتمد على الجدران الملساء والمساحات البيضاء بتفاصيل ملونة وأقواس وكذا عناصر أخرى تأخذنا إلى فضاء متوسطي مثالي. وقد بنى خوسي لاروسيا العديد من العمارات في العرائش وفي الحي الإسباني في تطوان. كما قام نفس المهندس بإنجاز أعمال قريبة إلى ما يسمى بـ"جمالية الآلة": اعتماد النوافذ الدائرية والشرفات المحدبة مثل درابزين البواخر ومباني بقواعد شبيهة بتلك التي نجدها في السفن (كما هو الحال مع القنصلية الإسبانية في العرائش أو النادي البحري في الناظور) ونقوش ضمنها تلك القائمة على خطوط أفقية.

وسيقوم كل من لاروسيا ولاتوري وكوادرا سالسيدو بإنجاز أهم الأعمال التي تدخل في إطار سياق كوسموبوليتي ذي ذوق رفيع: فيلات، مساكن ومبانٍ رسمية يتم بناؤها كنحوت تشكيلية ذات جمالية خاصة. ويمكننا اعتبار المدرسة التقنية القديمة ومندوبية الثقافة لفرانيسكو هيرنانث كأفضل نموذج لهذه الهندسة العقلانية والتي تمزج الإسمنت المسلح بمواد تقليدية في مجال مفتوح تحف به البساتين. هذا المبنى الذي تم إنجازه كنواة لخلق مركب مدرسي في تطوان. هذا الخط ديكو وعقلاني سينهجه في الأربعينات كاستيفيرنانث شو وهو من أبرز المعماريين الإسبان والذي سيتخذ اتجاهاً حداثياً في المباني التي أنجزها في تطوان.

لا بد من الإشارة مع ذلك على أن الأربعينات ستكون في الواقع الحقبة التي ستولد معماراً كأداة إيديولوجية تعكس النظام الفرانكاوي الفردي. سينشأ خلالها فكرة

خلق أسلوب خاص بالمغرب سيجسد لأول مرة تصوراً رسمياً يشمل كل المناطق الموجودة تحت الإشراف الإسباني. ولهذه الغاية تم الاستنجاد بمهندس متميز هو بيدرو موغوروثا الذي سيعتمد شكلاً هندسياً ينتمي للباروك الجديد كثيرة البهرجة ولكنها في نفس الوقت كلاسيكية ومتينة، فيها نوع من الصلف ولكنها في نفس الوقت تأخذ بعين الاعتبار العامل الاجتماعي حينما تعتمد على بنايات متكئة. إنها حقبة الأروقة المعمدة والزخارف بالأفاريز الصخرية والحلية المعمارية والمثلثات في أعلى المباني والبروج في الزوايا والتي تجسد بحثاً مستمراً عن إضفاء صبغة الإيسكوريال والتي نجدها في كل الأعمال. وكان من أبرز المهندسين في هذه الحقبة خوان أراتي الذي قام بتصميم مبنى البريد في ساحة مولاي المهدي ومندوبية الأشغال العمومية وهو الذي اقترح بناء أروقة معمدة على امتداد شارع محمد الخامس في تطوان وكذا المستشفى الإسباني في طنجة. وتعتبر هذه الحقبة فترة عودة لاستلهام التاريخ وانعزال في إسبانيا والمغرب عما كان يجري في باقي بقاع العالم.

بعد مرور هذه الحقبة التي اعتمدت مراجع مرتبطة بالنهضة والباروك الإسبانين قامت الهندسة بالبحث عن سبل أكثر حداثة حيث قام المعماريون باستلهام الأعمال التي كانت تنجز في باقي الدول الأوروبية. الأمر الذي أعطى هندسة أكثر جدة ولكنها في الوقت نفسه أقل أصالة باعتبارها انعكاساً لعولمة أسلوبية ميّزت تلك الفترة.

ومع ذلك يجب الوقوف عند تطورات مهمة فيما يتعلق بأسس البناء حيث كان يتم الاعتماد على الإسمنت المسلح كما هو الحال في سينما أفينيدا في تطوان أو ملعب كرة القدم في نفس المدينة والتي قام بإنجازها المهندس خوليو كاسترو رافعا من مستوى استعمال هذه المادة.

من جهة أخرى فإن أهم مهندس في هذه الحقبة الأخيرة كان وبدون أي شك خوسي مارييا بوستينوي الذي أنجز العديد من الأعمال في تطوان بعضها من مستوى جد عالي كما هو الحال في فيلا بنعطار في الكورنيسا ومحطة الحافلات والمقر الحالي لبلدية الأزهر أو مبان أخرى نجدها منتشرة في الحي الإسباني. وسيكون هذا المهندس بجانب ألفونسو سييرا بتطوان وهيرمينغيلدو براكونس في العرائش وأسيس فيلاديفال ومارتينيث شوميّاس في طنجة وإيدواردو كاباييرو في الناظور مسك ختام للحضور المعماري الإسباني في المغرب.

مع نهاية هذه الحقبة نكون قد وقفنا على صفحات رائعة من الهندسة المعمارية التي تركت بصماتها في عدة مدن والتي كانت شاهداً على تلاقح إسباني مغربي خلال القرن العشرين بما تركه من أثر أصبح اليوم جزءاً من تراث المغرب الثقافي ومن التاريخ الإسباني. هذا التلاقح لا بد له من أن يصبح قاعدة لاحترام وتعاون بين البلدين في بحثهما عن النقاط الإيجابية التي تربط تاريخهما المشترك.

أيام الندوة

تنسيق

محمد بنعبود (جمعية تطوان أسمى)
رامون طريس لوبيث (منسق برنامج
التعاون للإدارة العامة للهندسة
والسكنى في تطوان)

رعاية

هذه الندوة أقيمت تحت الرعاية السامية
لصاحب الجلالة محمد السادس
منطقة الحكم الذاتي بالأندلس،
مستشارية الأشغال العمومية والنقل
سفارة إسبانيا،
الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي
المملكة المغربية
المجالس البلدية بتطوان
جمعية تطوان أسمى

مؤسسات متعاونة

وزارة تخطيط التراب الوطني والسكنى
والبيئة بالمغرب
الجماعة المحلية بتطوان
عامل إقليم تطوان
الإدارة الهندسية بالرباط
وزارة الشؤون الثقافية والإعلام
المغربية (مندوبية تطوان)
الوكالة الحضرية بتطوان
مدرسة الهندسة بالمرية
القنصلية الإسبانية العامة بتطوان
معهد سرفانتيس، تطوان
بلدية غرناطة
مكتب ترميم المركز التاريخي بقادش
بلدية ألكالا دي لوس غازوليس
بلدية إيفورا (البرتغال)

جمعيات مشاركة

مؤسسة التراث الثقافي اليهودي المغربي
ريف الأندلس، شفشاون
مجموعة البحث حول الهبط في العرائش
البوغان، طنجة
الهندسة والالتزام الاجتماعي، إشبيلية
أبورقراق، سلا

مقر الملتقى

الاستقبال وسهرة الموسيقى الأندلسية: دار الطريس
المحاضرات: المكتبة العامة بتطوان
معرض اللوحات التشكيلية: دار الصنعة

رئيس منطقة الحكم الذاتي بالأندلس

مانويل شافيز غونثاليث
مستشارية الأشغال العمومية والنقل
كونسيبسيون غوتيريث ديل كاستييو
نائب مستشار الأشغال العمومية والنقل
لويس غارسيا غاريدو
المدير العام للهندسة والسكن
خوسي مييادو بينافينتي
نائب المدير العام للسكن
لويس غونثالث تماريت
رئيسة قسم الهندسة
ماريا دولوريس خيل بيريث
رئيس المجلس البلدي لتطوان
رشيد طالب

الإشراف على النشر
الإدارة العامة للهندسة والسكنى

تنسيق النشر
روثيو أرماس وماغداлина طريس
فريق التعاون الدولي
كريستينا فايادوليد ليون
خوان طريس كاسادو
أنا مارتينيث

صور

خوسي مورون، باستثناء الصور التي يذكر فيها اسم
آخر

مساعدة

إيماكولادا ناتيرا، ماريا خوسي دومنغيز،
ماريسا دي ألبا، لويس ميغيل هيدالغو

ترجمة

مترجمون 2000 ش.م. مانويل فريا غارسيا، سرخيو
غارسيا باستور

التصميم الجرافي

مانويل ألونسو

التصوير الميكانيكي

كروموتيكس

طباعة

ت. ف، لفنون الطباعة

هذا المشروع تم تمويله من طرف الاتحاد الأوروبي

حقوق النصوص: للكتاب
حقوق النشر: منطقة الحكم الذاتي بالأندلس.
مستشارية الأشغال العمومية والنقل

ردمك: 84,8095,367,5

رقم التسجيل: JAOP/AV-04-2004

رقم الإيداع القانوني: SE-1779-2004

المغرب والأندلس مدن تاريخية

محضر ندوة
ترميم وإصلاح المدن التاريخية
في الأندلس وشمال المغرب
تطوان، 29 أكتوبر-1 نوفمبر 2001

منطقة الحكم الذاتي بالأندلس
مستشارية الأشغال العمومية والنقل
الإدارة العامة للهندسة والسكنى

سفارة إسبانيا بالمغرب
الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي

بلدية تطوان

جمعية تطوان أسمىر

إشبيلية-تطوان، 2004